**المحاضرة الاولى**

**مبادئ التربية الفنية**

**- مبادئ التربية الفنية في العصر البدائي.**

**حقيقة لم تتفق البشرية على مبدأ متعارف عليه إلا بعد أن تجاوزت حالة الاقتتال من أجل البقاء. لتتحول جهودها نحو حالة من البحث الدائم عن هوية ثقافية ما والدفاع عنها فيما بعد، مع التأكيد بأن من تولى هذه المهمة هم طبقات معينة من المجتمعات. إذا اتخذوا لنفسهم وظيفة ترسيم الخطوط الرئيسية في الخارطة الفكرية والدينية والتربوية للمجتمع الذي ينتمون إليه، وبالمقابل لم يقدم استجابة ايجابية لهذه الجهود إلا طبقات محدودة معدودة في بادئ الأمر نظراً لصعوبة الحياة وتقلب الظروف البيئية في تلك الحُقب. وتبعاً لهذا النمو المبدئي و ألاتفاقي في أنماط الحياة المختلفة ومنها التربية والتعليم ظهرت أول ملامح ( المعلم) ومادة ( التعليم) فيما أكمل ظهور اللغة والأدب كأساس للتعلم صورة التقدم التربوي الذي افتقدته الشعوب في سيرها نحو الأمام تزامناً مع فجر التقدم الصناعي والتكنولوجي.**

**تبعاً لذلك نرى من البديهي أن يتحاور البدائي وعبر معطيات تفكيره العقلي المتواضع حواراً جدلياً بسيط مع بيئته بأبعادها شتى. الأمر الذي دفعه بالتالي إلى الارتباط بها ارتباطا وجودياً ذو سمه نفعية على الدوام. لذا نجد أن إشباع البدائي لحاجاته الغذائية و ديمومته الجسدية فرض عليه مبدأ بالكاد يرتقي إلى المبادئ التربوية إلا هو التربية البيئية المدفوعة برغبة الإشباع الذاتي للضرورات والاحتياجات اليومية الملحة لذ نجده قد مرن نفسه أو جسده على نمط معين في الجري والقنص والقتال لأجل الحصول على غذائه ومقاتله أعدائه. وبذا نجده في ذات الوقت قد تطور في آلية تفكير واتسعت مديات قواه الإدراكية الحسية فأخذ يخطط ويحلم بالمستقبل. لذا فقد خضع مبدئه التربوي هذا إلى نمط بيئته تلك دون أن يحاول الإفلات منها أو حتى تغييرها([[1]](#footnote-1)).**

**بمرور الوقت، ونتيجة للحوار الثقافي و التلاقح الفكري بين الحضارات والأمم بأشكالها البسيطة والتي كانت تتخذ في الغالب طابعاً تجمعياً بشرياً، بدأت آفاق الإنسان الفكرية بالتوسع شيئاً فشيئاً. إلا أن مبادئه التربوية في تلك الحقبة لم تزل تتسم بالبساطة في لأداة والصعوبة في الأداء، إلى جانب ارتكازها على العفوية والتلقائية اللاشعورية التي تتناقلها الأجيال. إذ عادة ما يقلد الصغار أعمال الكبار في الصيد ورعي الماشية وصناعة الأدوات والزراعة...الخ. وهذا ما يفصح لنا بشكل جلي عن توارث المبادئ التربوية بل استخدامها كأداة في مواصلة البقاء المجتمعي واستمرارية في الحياة ضمن الموقع الجغرافي الذي ينتمي إليه. وعليه يمكن القول بأن أغلب الأنماط التربوية في المجتمع البدائي كانت تتم عن طريق الملاحظة والتقليد والمحاولة والخطأ، كما أنها في الوقت ذاته لم تخرج عن كونها عملية إرشاد وتوجيه سلوك الفرد لممارسة عادات مجتمعه وتقاليده عبر احتياجاته اليومية"[[2]](#footnote-2)".**

**يمكن القول بأن ما تم ذكره أعلاه يفصح لنا وبشكل ضمني عن مبدأ تربوي آخر تمسك به المجتمع البدائي آنذاك. ألا وهو مبدأ التوافق والانسجام الذاتي والبيئي. وقد كان هذا المبدأ دافعاً ومحركاً أساس في ولادة التفكير الغيبي الديني لديه ومن ثم ولادة الحس الجمالي المنظم بذاته ولذاته فيما بعد. بمعنى آخر أن هاجس الأمن دفعه للتعايش مع الآخرين على شكل تجمعات قبلية وبالتالي أحياء مركزية الذات ومحاولة إعطاءها ميزة تتفرد بها في قيادة دفة الأمور ومن جملتها الأمور أو القوى الغيبية . فأخذ يتصور ويرسم صورا لقوى غيبية يتحاور معها ويفكر في آلية التفاوض القادمة بغية الحصول على توازن وتوافق معها. فبدت عبادة الأشياء تأخذ بالظهور شيئاً فشيئاً. وما أن تنامت هذه العبادة حتى شعر البدائي بضرورة الإعلاء من قيمة العبادة بتزيينها ومنحها خصوصية قيميه نابعة من خوفه وإجلاله لها فبدا ببناء المعابد وتزيينها وعلى هذا النحو ولد الحس الجمالي والديني في لحظات متقاربة ومن رحم فكري واحد .**

**دافع البدائي وبشكل ملحوظ عن مركزية ذاته إزاء أحوال البيئة القاسية. وهو في الحقيقة إنما يدافع عن كل أفراد جنسه أو قبيلته التي تنتمي إليها. والتي تمنحه هي بدورها القوة والمد المعنوي الذي يحتاجه في القتال بل حتى في سد حاجياته اليومية، ومن هذه النقطة الغائية تحديداً ولد مبدأ الولاء القبلي منذ أقدم العصور. وهو مبدأ لم يزل قائماً بل ومتقدماً حتى على الولاء الفردي ذاته.**

**اتخذت التربية البدائية أنماطاً عدة هي:-**

1. **التربية العملية ( الجسدية) التي تنسب إلى عالم المرئيات أو المحسوسات والتي تعنى بالأعداد الضروري للحصول على ضروريات الحياة اليومية وهو ما تطلب تدريباً بدنياً ومهنياً وخلقياً.**
2. **التربية الغيبية التي تعود إلى عالم الغيبيات والى التدريب الروحي الضامن لرضا القوى الغيبية عن نفس الفرد وعائلته وقبيلته .**
3. **التربية الفكرية والتي تشمل المعرفة الاجتماعية للعادات والتقاليد القبلية . وهذا النمط من التربية يختلف تبعا لاختلاف الجنس ولنمط الحياة في القبيلة .**

**أما هدف التربية في ذاته فقد كان يكمن في نقل العادات والتقاليد وأساليب العيش عن طريق المحاكاة من جيل لآخر لأنها كانت متلائمة تماماً مع المعطيات البيئية والصناعية لإنسان تلك الحقبة من التاريخ "[[3]](#footnote-3)". الا انه وبمرور الوقت تضاعفت فعاليات الانسان وبدت ملامح الفروق الفردية بالظهور بين الافراد لذا ظهر تفاوت ملحوظ في قدرتهم على تحقيق هذا الهدف بنفس الدرجة من الاتقان .**

**سمات التربية البدائية:-**

1. **أنها إشراقه لآلية التفكير العفوي الذي شهدته البشرية في ميلادها الإنساني الأول. فضلاً عن أنها محاولة بكرٍ في نقل وتوارث الخبرة من جيل إلى آخر .**
2. **احتوائها على بساطة الأداة وصعوبة الأداء واتخاذها طابعاً وراثياً لا شعورياً مقصود لذاته .**
3. **اتخذت طابعاً جماعياً في الأداء نظراً لعدم وجود مؤسسات تربوية تحتضن الأجيال لتقوم بأعدادهم وتهيئتهم للحياة القادمة .**
4. **اتخذت طابعاً هرمياً في التطبيق مع ملاحظة الفروق الفردية في الفهم والأداء والاستجابة ([[4]](#footnote-4)) .**

1. )) بول، مونرو: المرجع في تاريخ التربية، ج1، ت: صالح عبد العزيز، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1958، ص 20 . [↑](#footnote-ref-1)
2. - الحلي , احمد حقي , واخرون : مبادىء التربية , مطبعة جامعة بغداد , 1985, ص 11. [↑](#footnote-ref-2)
3. - الطريحي, فاهم , واخر : اسس التربية , وزارة التعليم العالي والبحث العلمي , جامعة بابل , ب ت , ص 35-38 . [↑](#footnote-ref-3)
4. )) الحلي، احمد حقي , واخرون : مبادئ التربية، مصدر سابق، ص 37 . [↑](#footnote-ref-4)